تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال

د. عاطف نصار (*)

هل في مصطلحات التجارة تعريب؟ هذا سؤال.. وهل في إدارة الأعمال تعريب؟ هذا سؤال آخر، لابد منه، ويبدو أننا في مؤتمرات التعريب لا ننتبه كثيراً لهذا السؤال أو ذاك، نحن ننتبه إلى مصطلحات العلوم والتقانة (التكنولوجيا)..إلى مصطلحات الطب والعلوم الصحية.. وهذا هو أيضاً الهم الأكبر لأنشطة المجامع اللغوية. أما مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال. فلا تأتي كثيراً في حساب المؤتمرات أو حساب المجامع اللغوية العربية، مع أن التجارة هي أول نشاط بدعه الإنسان في دنيا الحياة والمعاملات. وهي أقدم نشاط لغويّ مارسه الإنسان، أفراداً وجماعات وشعوباً وقبائل، أما إدارة الأعمال فهي أحدث نشاط لغويّ بدعه الإنسان، فهو نشاط رابطٌ جامع لكل أنشطة الحياة، و محور مصطلحات التجارة يرتكز على أسماء السلع والمنتجات بتصنيفها المعمول به في حصر إجمالي الناتج القوميّ، وأما مصطلحات الإدارة فهي ترتكز على تصنيفات إدارة الحياة من موضوعات في القوانين، والتمويل، والتأمين، و المحاسبات، وضبط الدفاتر والسجلات، والاتصال، والإعلام، والإدارة العامة، و إدارة المشروعات والأعمال... إلخ . و على الرغم من ضعف التغلغل المجمعيّ في نشاط ألفاظ التجارة، وألفاظ إدارة الأعمال إلا أنه أقوى وجوداً من أيّ نشاط لغويّ آخر، إذ جاء هذا النشاط أهلياً قوياً، والدليل على ذلك عراقة وقِدم المعاني التي تناولت وساعدت عملية النقل من اللغة العربية وإليهـــا، وساعدت بالتالي على رواج الأنشطة التجارية بين العرب وسائر البشر من مختلف الجنسيات والألوان واللغات. يشهد بذلك إصدارات عريقة في معاجم القانون العام والقانون التجاريّ والتأمين العام والتأمين البحريّ وخلافه، كما يشهد على ذلك أيضاً المعاجم العامة من وإلى اللغة العربية، الأمر الذي يتطلب اهتماماً خاصاً وتنسيقاً يضم هذه الأفرع القوية لتعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال. ويُلاحظ، في هذا المقام، أن مكتب تنسيق التعريب قد بدأ ينتبه إلى هذا النشاط الذي يحتاج إلى مزيد من الاهتمام والدعم على المستوى الرأسيّ داخل كل قطر عربيّ، وعلى المستوى الأفقيّ الذي يقرب بين المصطلحات السائدة في أجزاء الوطن العربيّ ويوحد بينها عاجلاً أو آجلاً.

وتهدف هذه الورقة إلى استخلاص الدروس المستفادة من عمليات تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، بغرض الإحاطة بها وترويجها وتعميم ما يصلح منها في سائر عمليات التعريب. هذا هو الهدف من هذه الورقة، التي تهدف أيضاً إلى لفت نظر المجامع الرسمية والمؤسسات التعليمية المختلفة إلى أهمية الالتفات إلى الجهد الأهليّ غير الحكوميّ في دعم مسيرة التعريب.

(*) رئيس جمعية لسان العرب – القاهرة

ولقد أثبتت الجهود الأهلية، غير الحكومية، جدارة ملحوظة في عمليات التعريب، لفتت نظر الجهات الرسمية إليها بشدة،إلى درجة أنه يمكن الاعتراف بأن قاطرة التعريب يجرها جوادان متلازمان، الجواد الأول هو العمل الأهليّ والجواد الثاني هو العمل الرسميّ.

مفردات نشاط التجارة وإدارة الأعمال:

تشير هذه الورقة إلى أمثلة لمفردات الكلمة في كل من نشاطي التجارة وإدارة الأعمال، وذلك تحديداً أو بمعنى أصح استطلاعاً لنطاق البحث في التصنيفات الرئيسية لكل موضوع، مما يسهل عمليات البحث على الباحثين ويفتح المجال للبحث في التصنيفات الرئيسية لكل موضوع. ومن الطريف أن عراقة النشاط اللغويّ في مجال التجارة بصفة خاصة، قد جعل هذا الموضوع موضوعاً ثرياً بألفاظه وتصنيفاته، لأن ألفاظ التجارة، باختصار شديد،هي ألفاظ السلع والمنتجات والخدمات، وهي ذات الألفاظ المستخدمة في كتب إجمالي الناتج القوميّ وهي ألفاظ مستقرة، وهي ألفاظ قبلت التوحيد والترجمة التطابقية إلى كل اللغات، كما أنها قبلت التبويب الموحد. يوضح ذلك كل الكتب السنوية الإحصائية التي تصدرها الدول والبنوك المركزية ببيانات إجماليّ الدخل القوميّ، فهذه الكتب عبارة عن حصر شامل لألفاظ السلع والمنتجات. أما مفردات ألفاظ إدارة الأعمال فعلى الرغم من حداثة هذا الموضوع كمادة دراسية متغلغلة في كل أنشطة الحياة، إلا أنّها ولدت بوضوح كامل، وجاءت بتفريعات وثمرات سهلة الاستيعاب، سريعة الانتشار، غنية في إمكانية التكاثر والتوليد. الأعمال الحاكمة في الحياة هي أعمال الإدارة العامة؛ أي الإدارة المدنية وإدارة الأمن والدفاع؛ أي الأمن الداخليّ والدفاع، أي الأمن الخارجيّ.. يلي ذلك إدارة المشروعات الصغيرة والمشروعات الكبيرة (Micro Economics,Macro Economics)، أو ما يسمى باقتصاديات المشروعات الصغيرة واقتصاديات المشروعات الكبيرة، ويتفرع من ذلك موضوعات عامة بألفاظ مصاحبة تدخل في أنشطة إدارة الحياة، مثال ذلك: التأمين بأنواعه ونشاط المشتريات والمخازن والبيع والشراء والتصنيع والمحاسبة والموازنات التقديرية والتخطيط والمتابعة، وتتميز هذه الأنشطة بالمصطلحات التي تدل عليها من نمطية وتوحد لتطابق التعبير عنها باللغات المختلفة.ولعل من أجمل ما ظهر من مصطلحات إدارة هذه الأنشطة في كل اللغات تلك المصطلحات التي وضعها المهندس الفرنسيّ: هنري فايول (1841-1925) وما زالت متغلغلة رائجة في كل اللغات، تلك المصطلحات هي أربعة عشر مصطلحاً أطلق عليها:

Division of work	تقسيم العمل
Authority and Responsibility	السلطة والمسؤولية
Discipline	النظام
Unity of Command	وحدة إصدار الأوامر
Unity of Direction	وحدة التوجيه
Subordination of individual to the Group	خضوع مصلحة الفرد لمصلحة المجموع
Remuneration of Personnel	حسن الجزاء
Centralization	المركزية
Scalar chain	التسلسل الرئاسيّ
Order	الترتيب
Equity	الإنصاف
Tenure de personnel	استقرار العمالة
Initiative	الابتكار
Esprit de Corps	روح الجماعة

مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال في الفعل:

إن الاستعراض السريع لمصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، حسبما ألمحنا إليها، توحي بعالمية هذه المصطلحات، فهي مصطلحات موحدة تقريباً بين كل اللغات، موحدة المفهوم، وموحدة التطبيق، وطاغية الانتشار، وهذا يعني أن تعريب هذه المصطلحات كان وافياً مبيناً. وليس هذا هو الدرس الوحيد المتاح من عملية تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، هذا الدرس هو أن الاستعمال والانتشار هما الأسلوب والمقياس، ونقصد بالأسلوب الاستعمال السهل المبين، وأما المقياس فهو مدى الانتشار والاعتراف. وأما الدرس التالي في الأهمية، فهو تتبع التعريب في الفعل واستخلاص ما يكون من دروس مستفادة أخرى. وقد ثبت لنا من، مشاهدتنا اللغوية، أكثر من درس مفيد آخر. عندنا من ذلك درس المختصرات اللغوية الموحدة بين اللغات الأوسع انتشاراً، ثم درس الأرقام، ودرس التعبير بالشكل والصورة.

اقتحام المعنى في عملية التعريب:

أثبتت عمليات مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، جدارة منقطعة النظير في إصابة المعنى والإبانة عن مقصود المصطلح دون حرفية مبهمة... إذ لا تتمسك عملية التعريب بالترجمة الحرفية التطابقية إذا كانت الإبانة عن المفهوم غير واضحة. كما أثبتت عمليات التعريب جدارة أخرى في استعمال المختصرات، وأثبتت تقليداً لغوياً عالمياً في استعمال المختصرات، كذلك التوسع في استخدام الحروف المقطعة والأرقام والأشكال جنباً إلى جنب مع المصطلحات، وحيث تستغل بنفسها كمصطلح مبين أو تأتي قرين المصطلح، وهذا بالطبع سبيل إلى عالمية اللغة وتقريب المفهوم وربما توحيده على المستوى العالميّ.

أسلوبية تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال:

1- لا تأخذ الترجمة والتعريب في أنشطة التجارة وإدارة الأعمال بالنقل الحرفيّ، وإنما تأخذ بإصابة مضمون المعنى. والطريف أن الترجمة على هذا النحو تكون أسرع في الرواج والانتشار من الترجمة الحرفية، ومن أمثلة ذلك، في التعبير عن مبادئ الإدارة الأربعة عشر الخالدة التي وضعها هنري فايول، ترجمة المصطلح (Esprit de corps) ومعناها الحرفيّ روح الجسد، أما تعريبها الكاشف عن المفهوم فهو روح الجماعة، وكذلك اصطلاح (Tenure de personnel) ومعناه الحرفيّ الإمساك أو الاحتفاظ بالعمالة، أما تعريبها الكاشف عن المفهوم فهو المحافظة على العمالة؛ أي استقرار القوى العاملة؛ أي عدم التفريط فيها أو الاستغناء عنها في كل شاردة، وكذلك كلمة (Equity) فهي تعني حرفياً المساواة، وأما معناها العمليّ فهو الإنصاف، والإنصاف هو مزيج من العدل والرحمة، وهكذا في العديد مئات من الأمثلة التي تمتلئ بها معاجم مصطلحات الإدارة.

2- استعمال المختصرات:

تستعمل المختصرات والحروف المقطعة على نطاق واسع في تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، وتكتسب على هذا النحو، شيوعاً واستعمالاً عالمياً لا لبس فيه ولا إبهام. والطريف أن هذه المختصرات تنتقل من لغة إلى أخرى بنفس حروفها ومنطوقها الذي ظهرت به، حتى وإن ترجمت إلى لغة أخرى، مثال ذلك (C.O.D) بمعنى الدفع قبل الاستلام،

(C.I.D) بمعنى نولون تسليم ظهر الناقلة، والنولون هو مصاريف الشحن والنقل والتعتيق، و (F.O.B) بمعنى البناء مقابل الملكية المؤقتة، وقد كان هذا المصطلح شائعاً معروفاً معمولاً به في منتصف القرن العشرين، بمعنى حق الامتياز؛ أي الانتفاع بريع المشروع بعد بنائه لمدة معينة من السنين... ويمثّل استعمال المختصرات على هذا النحو نمطاً دولياً في التعاون من أجل الخير العام، مع تحقيق سرعة وكفاءة التعامل، ويطبق هذا النمط من التعبير بأقصر حرف أو رمز ممكن في قطاع الطيران حيث يكون الحرف (Y) مثلا دليلاً على الدرجة السياحية، وحرف (B) دليلاً على درجة رجال الأعمال، وحيث كل شركة لها حرف أو حرفان يدلان عليها، ويتعارف على ذلك كل العاملين في الطيران التجاريّ في كل العالم.

3- الاستيعاب والفهم أولاً:

تتصف اللغة العربية بميزة كبرى هي أن الفهم والاستيعاب جزء لا يتجزأ من القراءة الصحيحة، والفهم هو الأولوية الأولى وهو السبيل إلى القراءة الصحيحة، ولا يدري كثير من الناس أن صوت الحروف يساعد على تجلية ووضوح المعاني، هذا يعرفه المترجم المتمرس في اللغة والموضوع، وهذا يؤدي إلى التوفيق في اختيار اللفظ المنقول إليه، مثال ذلك مصطلح (Bench Marking) في علم الإدارة، وقد ظهر هذا، المصطلح في أدبيات الإدارة أوائل سنوات التسعين، واحتار بعض المترجمين غير المتمرسين في فهمه، فالكلمة الأولى (Bench) تعني المقعد الطويل بدون مساند أو جوانب، والكلمة الثانية (marking) "تعني تدوين الملاحظات، والترجمة الحرفية تكون على هذا النحو "تدوين الملاحظات على المقاعد"، وهذا طبعاً شيء مضحك. أما استيعاب اللفظ والمناخ الذي استعير منه اللفظ فهو يشير إلى مراقبي بعض الألعاب الرياضية مثل "كرة القدم" أو "الملاكمة"، حيث يجلس فريق من الحكام على مقعد غير وثير ليسجلوا عن كثب ما يجري في المباراة، وبهذا تكون الترجمة الصحيحة لهذا المصطلح في ممارسات الإدارة هي:"المراقبة عن كثب" بغية التطوير وتصحيح الأداء، وهذا طبعاً يتم من خلال الإشراف المباشر، ومن خلال وسائل التصوير واستشعار الصوت والحركة والتغيرات بطريقة إلكترونية متناهية في الدقة.

4- نظرية الحاجة في نشاط التعريب:

بدأ نشاط تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال على استحياء، وسرعان ما شهد النمو والتطور رأسياً وأفقياً. ومن أمثلة النمو الرأسيّ في تعريب المصطلحات المعجم القانونيّ لمؤلفه حارس سليمان الفاروقي. إذ وضع معجماً في المصطلحات القانونية الشائعة،مثل مصطلحات الفقه والطب الشرعيّ والتجارة والبنوك والتأمين والدبلوماسية والبترول والطيران المدني. أما الأمثلة على النمو الأفقيّ الذي شهد توسعاً شاسعاً، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، معاجم إدارة الأعمال: التدريب والتسويق والاقتصاد والتأمين بأنواعه والتمويل بأنواعه ومصطلحات النفط والغاز ومصطلحات الطيران التجاريّ والمصطلحات المعمارية ومصطلحات الطقس ومصطلحات الإعلام والاقتصاد والحواسيب الإلكترونية.

توفير القواعد العربية وقيادة التطوير:

نشطت حركة التعريب ووضع المعاجم في شؤون التجارة وإدارة الأعمال وأسماء السلع والمنتجات كنشاط

أهليّ غير حكوميّ، ومع ذلك فقد أعطت لنفسها صورة الشرعية التي لا تنتظر بيروقراطيات المجامع اللغوية في إقرار ألفاظها ومصطلحاتها الجديدة.. إذ التزمت بأصول وقواعد اللغة صرفاً ونحواً، وتقديم هذه الأصول والقواعد بشكل عصريّ سهل، ولعل هذا جاء أوضح ما يكون في مقدمة معجم لاروس العربيّ/ العربيّ الذي قدم بوضع موجز جامع مبسط لقواعد النحو والصرف،.. وقد أعطى مثل هذا التوقير شرعية مقبولة لهذا المعجم من مجامع اللغة العربية، كما كانت مثل هذه المعاجم هي الأسبق في ترتيب ألفاظ المعجم ترتيباً ألفبائياً، وهو الترتيب الذي أخذت به المجامع اللغوية العربية تباعاً.. وأخذت به كل المعاجم اللغوية من الجيل الأول حتى الجيل الرابع من المعاجم الذي نعيشه الآن، وهو المعجم الصوتيّ.

السليقة اللغوية:

كان الفيصل دائماً في استحداث ألفاظ جديدة تعرّب أسماء السلع والمنتجات ومصطلحات أنشطة الحياة والإدارة الجديدة، هو سيادة السليقة اللغوية وملاكها الاستعمال والقبول الجماهيريّ وعدم التزام حرفية النقل من اللغات الأخرى، مثال ذلك شيوع كلمة الهاتف بدلاً من المسرة رالتليفون، وكلمة الحافلات والنقل الجماعيّ بدلاً من الأتوبيسات والباصات، والمخبوزات تعبيراً عن كلمة المعجنات المنقولة حرفياً من الفرنسية..

وقد كان الرائد الأعظم في هذا المقام هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في تعريب ألفاظ الحضارة، اعتماداً على الجرس العربيّ للفظ وقبول الأذن واللسان له، وتلك هي السليقة اللغوية التي أعادت معاجم التعريب الحديثة، الحياة إليها في العصر الحديث.

الخاتمة ودرس الدروس المستفادة:

إن درس الدروس في تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال ليس في إصدار المعاجم المتخصصة المتنوعة التي تغطي أنشطة التجارة وإدارة الأعمال، بل إن درس الدروس هو الوعي بأسلوب وتقنية وضع وتعريب هذا المصطلح، إذ إن سيد التعريب وحاكمه هو القائم بهذا النشاط، فهو ناقل الجديد ومبتدع اسمه ومصطلحه بناءً على سليقة لغوية سليمة وحس ترويجيّ يقظ، وفعل ديناميّ فوريّ أو لحظيّ، ذلك أن طلبات السوق وآليات الاستعمال ليس لديها ترف التلكؤ في وضع المصطلح أو نقله... ولقد نشأت دعوة قوية إلى تدريس العربية في مراحل التعليم العالي تمكيناً لطلاب هذه المرحلة من لغتهم، وهذا مطلوب، ولكن الطلب أيضاً والحاجة الشديدة تقضي بألا يكون هذا التدريس هو عودة إلى تكديس دراسة النحو والصرف أو الإبداع الأدبيّ المأثور أو المحمود، فهذا مجاله التعليم قبل العالي، أما التعليم الجامعيّ والعالي فينبغي أن يركز على دراسة اللغة في الأغراض الخاصة بحسب فرع تخصص التعليم العالي، وينبغي أن يركز على تقنية وضع وتعريب المصطلحات، فهذا من شأنه أن يروج استعمال المعاجم الحديثة المتطورة، ومن شأنه أيضاً أن يرفع ويصقل مهارة التعبير في الحياة العلمية والعملية، كما يساعد على تيسير تعليم العلوم الأساسية والتطبيقية باللغة العربية، والبحث بها والتأليف والابتكار.. وهذه كلها تجارب محققة النفع والجدوى والفائدة بحسب التجارب العربية المَعِيشَة، وتجارب التعليم باللغة الأم في علم اللغة المقارن.